

على السَّفود



وَلَسَفُودُ نَارٍ لَوْ تَلَمَّتْ بِجَاحِهَا حَدِيدًا ظَنُّ شَحَا
وَيَسْهُو الصَّخْرَ بَنَرُ كُهُرَ مَاذَا فَكَيْفَ وَقَدْ رَمَيْتُكَ فِيهِ لَحْمًا؟

يظهر أن الامور منقلبة على أعقابها وأن النهار المملوء من نور الشمس لا تكفى الشمس نفسها في الدلالة عليه أحياناً ولن يكون نهراً لا بالشمس طالعة ولا بالاعين ناظرة ولا بشهادة مراصد أمريكا ولا بساعة جرينوتش في إنجلترا !!!

فقد عاد الشيخ عبد الله عفيفي يقول الشعر ولو أنه نظم مثلاً
وقال عفيفي حامداً ومصلحاً وصل عفيفي بعد حمد وبسملة
والف هذا النظم في النحوياتي بتسمة أبواب تليهن تكلمه

لوقال الرجل مثل هذا ونشر مثل هذا واقتصر على مثل هذا لاحسن من وجوه كثيرة وقيل جاوز مالا يستطيع الى ما يستطيع وكانت هذه وحدها فضيلة تعد له وثوابه عليها ثواب العبر وفيها على كل حال فائدة . تسعة أبواب وتكملة ١١١ ،

أما وهو يعلم حق العلم أنه ليس بشاعر وأن الشاعر لا يخلق على الكبير وأنه لا يذكر حتى ولا مع الشيخ شهاب أو الدرويش أو اللبثي أو أبي النضر ولا يفلح شاعراً حتى ولا أيام الجبرتي ، ثم هو مع ذلك ومع ما بينا له في شعره وصناعته وما بصرناه من أمر نفسه ، ومع أنه غير ناثم بل مستيقظ ولاهرم بل شاب ، ومع أنه يرى بعينه حضارة العصر وينظر في نتيجة الحكومة أنها سنة ١٩٣٠ وبقراء لشعراء مصر وغيرهم من شعراء الاقطار الأخرى ويعلم أن أدباء هذا الزمن بين قارىء لشكسبير وشلي وبيرن وهيجر ولا مرتين وموسيه وغوت وشار ودانوتزيرو وأمثالهم وبين قارىء بشار ومنصور ومسلم وأبي تمام والبحرثي وابن الرومي والمتنبي والرضي والمعري وطبقتهم . مع كل هذا لا يتوب عن الشعر ثم لا ينظم شعره إلا في أعلى وأسمى المعاني التي يضطرب من جلالها قلم التاريخ وتحار عندها الفرائح الجبارة والتي هي بالطبيعة مبعث الابتكار ومثار الجلال الادبي ومادة الخلق الجديد في الفن البياني لأنها ذات جلالة مولانا الملك فؤاد سيد العصر في كل شيء . به السيادة . لولم تكن الامور منقلبة على أعقابها ولو في نظر الشيخ عفيفي وحده لما بلغت به الجريمة أن يجنى هذه الجنايات الادبية كلها ، فهو مكلف أن يأتي بشعر لأقل من أن يقال في وصفه إنه لا يقل عن أشعار من ذكرناهم وإلا فشعره جريمة يجب أن يؤاخذ عليها لأنه يفضح به مصر وأدبها ويعطى منه للادباء مادة في الفن والصناعة لا يلقى أبداً إلا أن تكون مادة إجلال وإعظام . فان جعلها غير ذلك بسخاؤه شعره وضيق فكره وسقم ذوقه وبلاغة خياله فهي الجريمة الادبية بكل معانيها إذ ليس عليه اضطرار أن يحمل ما تتي كيلو جرام اذا كانت قوة ذراعيه لا تحمل إلا ثلاثين أو أربعين فان وضع نفسه تحت المائتين عمداً وتحطم خطأ !!! فهاهو يخطأ بل هي جناية على نفسه جناها

لا يمكن أن يكون مثل الشيخ عفيفي مغرورا الى هذا الحد فهو على كل حال أديب يميز طبقات الكلام ويعرف أن مائة قصيدة من مثل شعره لا تذكر مع بيت واحد من احسان المتنبي مثلاً ويدرك حق الادراك أن أدباء مصر مشتمون كل الشتم من صناعة شعره هذا وأن قصائده أصبحت فضيحة بينهم وأنه انما يحسم هذه الفضيحة

بنشرها في صدر الاهرام بالحرف الكبير . فما هو السر الذي يحمله على الشعر أى التشهير بنفسه ؟

نعم أنه يذكر من ناحية أنه يظهر اخلاصه ولكنه كذلك أفسد هذا الاخلاص في هذا الشعر ، فثله مثل من يحمله حب الصورة الفنية النادرة على أن يصورها وهو ضعيف في التصوير ، فحب و اخلاصه للجماة اخلاص ولكن الألوان في هذه الحالة ماهي الا إساءة آت حراء وصفراء وزرقاء ومن كل لون

واذا رأى الغراب بلبلأ يغنى فغنى !!! أفيسى الى الغناء ام يحسن ؟ وهل يقوم في ذلك عذر رغبته بجريمة صوته ؟ وهل من الضروري ياسى غراب أن تبليبل

ولكن يقال إنه مع معرفة الشيخ عفيفى بكل ماتقدم فهو مؤمل ان يكون نشر الاهرام لقصائده في صدرها بالحرف الكبير المشكول اعلانا منها بجمال الشعر و اقراراً باستحقاقه التقديم وشهادة للامة طلبا بانه لاسيف الا ذو الفقار ولا شاعر الا ... الشعرو . غير ان الاهرام فطنت أخيراً الى هذا ورئيس تحريرها الذي هو من كبار الادباء يعرف كيف يتكلم بعمله أفصح وأبين عما يتكلم بلسانه أو يكتب بقلبه فنشر القصيدة الأخيرة التي نظمها الشعرو في عيد ميلاد سمو الأمير فاروق ثم اصبح في اليوم التالى ناشراً في صدر الاهرام « لفيليب نجيب صوايا » ما يأتي بحروفه

نشيد «عاش فاروق»

عاش فاروق ولى عهدنا عاش فاروق المفتدى
فاروق محط آمالنا فاروق نور المهتدى
رب السما يحفظه لنا على الدوام على الدوام

ليس في الدنيا مثاله هو عنوان الفخار
الامة ملتفة حوله نائرة له الازهار
ياربنا زيد في دلالة على الدوام على الدوام

ابن العلا بدر منير قد انار الامما

عحي الامال غصن نصير نال رضا الحكما
رب الجمال ماله نظير على الدوام على الدوام

كلنا فدية للوطن بظل مولانا فؤاد
حامى الشرائع والسنن ملك البلاد والعباد
رب التواضع والمنن على الدوام على الدوام

عاش زهرة الانام عاش بالعز والدلال
عهده عهد الوثام سعه مدى الاجيال
فخر الوطن الى الامام على الدوام على الدوام
ها أنت ذا أيها القارىء أمام شعر عربى من بحر البر... على وزن بفته هندى:
الضرب فليب والعروض صواباً...

ولكنك أيضاً من هذا الهراء الشعري أمام بلاغة سياسية فى منتهى السمو هى
اعلان الاهرام بهذا النشر انه نشر لا غير وأن صوابا وعفيفى عندها سواء وأنها
لا تشهد بشئ. ولا تقدر شيئاً وأنه لا يجوز لأحد أن يقول شعر عفيفى كيت وكيت
لان الاهرام نشرته إلا وجب عليه وجوباً أن يقول ومثله شعر فليب صواباً ...
نحن علم الله لا نعرف الشيخ عفيفى هذا وليس بنا منه ولا من شعره ولكنها
أمانة العلم وميثاقه الذى يقول الله فيه « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ثم المحافظة على
سمعة الأدب فى مصر وهى اليوم قبة العالم العربى . ولو لم يكن عفيفى يصنع شعره
بمصبغة الديوان العالى الملكى ما بالينا سكت أو نطق لان امثاله كثير فى مصر بل فى
مصر نفسها تاجر كبير فى اسكندرية كان ذات مرة فى مجلسه بعض العلماء فاراد التاجر
أن يظهر فى مظهر على فلم تكدر تعرض الفرصة له حتى انتهزها واحتج بقوله : إزاي
يامولانا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أردب ما هو لك ما تحضر كيله ...

قصيدة الشيخ عفيفى الاخيرة نظمها فى عيد ميلاد الأمل الناشئ المبارك سمو
الامير فاروق حرسه الله وأقربه عين والده العظيم وجعله من أيه كالضحى من الصبح
معين فى نور واحد . وعنوان القصيدة « عيد الشباب » وهو عنوان جميل ولكن
بحث فى القصيدة عن فلسفة الشباب وتأثيره وجماله ، والصلة بين شباب سمو الامير

والنشء المصرى الجديد والآمال المرجوة منهما لمصر وتاريخها، وما تفدى به عواطف الشعب من جمال ولى عهده وشبابه واجتلاء سحر الطبيعة المصرية الفتية فى طلعتها الوضيئة الفاتنة، والوحى للامة بمعانى التفاؤل والنمو ومرح الحياة ونضرتها الخ. الخ. فلن تجد فى القصيدة من هذا شيئاً لأنها خارجة من قريحة ناضبة بل هى فى كونها ليست أكثر من سخافات لفظية تحسبها خارجة من قاموس لا من قريحة. من شر عيوب هذا الشعور انه ضعيف الملصقة اللغوية جداً وهو مع ذلك رجل لغة، ومتى اجتمع هذان اجتمع منهما عيب يفسد الأدب شعره ونثره. ذلك بان ضعف الملصقة اللغوية إنما هو ضعف القدرة على ابداع التراكيب البيانية العالية من الالفاظ وكون الاديب رجل لغة إنما هو فى حفظ جملة الالفاظ والقدرة على استعمالها فقط دون بلاغة الاستعمال والابداع فيه، فاذا اجتمع هذا وذاك وأضطرب صاحبها الى عمل أدبى. رأيته يراكم الالفاظ بعضها على بعض فى مجازات حمقاء واستعارات مجنونة يبرأ منها البيان وان كانت تقرها اللغة. أى هي من جهة اللغة صحيحة نقلاً وعربية ولكنها من جهة البلاغة هذيان وسخف فكأنها الفاظ فى قاموس لا فى قريحة اذ فيها عمل القاموس كاملاً مستقيماً وأما عمل القريحة فناقص مشوه.

وهذه الطريقة هى التى سقطت بالأدب العربى فى العصور المتأخرة وجعلته ابرد وأسخف آداب الامم كافة وكان النوايغ الأفذاذ يغطون عيوبها بالنكت البيانية التى لا بأس بها. التى هى فى الحقيقة مساحيق على وجه عجوز فى سن الثمانين أو التسعين ولكن غير هؤلاء ممن لم يرزقوا ملكة النكتة كانوا يصنعون تماماً كما يصنع محرر الديوان الملكى الآن فليس لهم إلا سرقة بعض المعانى ومحاولات فى المجازات والاستعارات تيجي. كما تيجي. خلطاً وخطأً ولطاً. ومنها فى قصيدة الشيخ نقيفى تسام شهاباً - سليل الدوحة!! يزهى المجد. نظمت العشر. نسقت الامانى. أرخ عناية الرحمن سترأ. وحك من عزمة الفتيان درعاً!! تضي. سباحة. تطيب نبلا. وهكذا هكذا ان كل تلميذ فى المدارس يقدر على مثل هذا واحسن منه وما هو بلغة فى اللغة ولا شعر فى الشعراء. إن هو إلا تركيب مجرد طوبة على طوبة. فصور كوخا يبنى بهذه الطريقة ثم ارتق قليلاً وتصويريتاً ثم ارتق وتصور. المحرر العربى لديوان جلالة الملك، يبنى قصرأ بطريقة طوبة على طوبة ويضعه قصرأ فخماً

أعرفت الآن انها أمور مضحكة أو أمور منقلبة على أعقابها وان من واجب الديوان العالى الملكى أن يظهر غيرة على أدب الامة فان لم ينعم على الأدب بشاعر

كالمثني فليح من شعور كحرره العربي

اما نحن فنسمنض في نقد هذا انشعور لانه اصبح من أقوى حجج المجددين الطاعنين على اللغة العربية وأدبها وشعرها فهم يقولون هذا هو قديمكم ليس فيه إلا وحك درعاً وطرز ثياباً!! ولئن يقال هذا؟ للجمال الشعري المتجسم في طلعة كتلعة الملائكة ولستقبل الأمة الذى ينمو في صورة بشرية سامية وللأمير فاروق .

يقولون هذا هو قديمكم في الحياة فدعوا الحياة تحكم لكم أو عليكم نعم دعوا الحياة تحكم ولكن بعد أن نخرج من محكمتها ما هو مزور علينا وبعد أن نعلن للجميع إن مثل هذا الشعر إنما هو في الهندسة البيانية أسلوب طوبة على طوبة لا غير . وإن من رجال الأدب العربي من لو فرغ للأدب والعمل فيه لغطى على كثير من فحول أوروبا ولكن من تكذ الدنيا إن مصر حتى في كنوز الأدب تحتاج الى (مكتشفين) كأن كل بديع فيها عليه سر من أسرار الموت

نظم الشيخ عفيفي قصيدته مقلداً فيها قصيدة شوقي في المولد النبوي الشريف واحسن بيت في قصيدة شوقي قوله يصف ولادة النبي صلى الله عليه وسلم .
لقد وضعته وهاجا منيرا كما تلد السموات الشهابا
وبعده : فقام على سماء البيت نورا يضيء جبال مكة والنقبا
ومن هنا بدأ الشيخ عفيفي قصيدته بقوله :

تسام بأفقها الأعلى شهابا وأشرق واملأ الدنيا شبابا

هذا بجانب شوقي شعر مخجل مع أنه مأخوذ منه كما ترى ، وهنا الغفلة العجيبة من الشعور تدل على انه شعور واكثر . . .

شوقي يشبه وضع النبي صلى الله عليه وسلم من أمه الكريمة بأنفصال الشهاب من السماء والشهاب هو الشعلة النجمية العارضة في الجو متقطعة فهي منفصلة منيرة ساطعة ماضية قوية رهيبه فالتشبيه محكم منطبق . ولكن عفيفي عكس الطبيعة وجعل الشهاب يصعد . . . وهو مستحيل إلا اذا كان شهابا كالذى يطلق في الألعاب النارية !!! وهذا لما تشتمز منه النفس وجعله مطلع تهته سمو الامير بما يزيد في فظاعته .

ثم غفلة أخرى أقبح من هذه فان الشهاب النجمي لا يكون إلا في ظلام كما هو طبيعي وذلك بديع في بيت شوقي لأن العرب كانوا في ظلام الجاهلية فولد النبي صلى الله عليه وسلم نورا واخرجهم الله به من الظلمات الى النور ولهذا لا يذكر الشعراء

الشهاب إلا ذكروا الظلمة كقول البحرى: وأضاء فى ظلم الخطوب شهاب . وقول الرضى:

لك الهمم التى عرف الاعادى تشب بكل مظلمة شهابا

وقوله: بيت وثوب الدجى شاحب طموح المعالم (سامى الشهاب)

ومن (سامى الشهاب) سرق عفيفى قوله (تسام شهابا) وهى غفلة ثالثة. لأن

الشهاب فى موضعه من السماء يعتبر عالياً فيه صفة العلو والسمو وهو ثابت على كل

حال الى أن ينقض . أما (التسامى) فكلمة تشعر بالتحرك صعوداً وذلك محال فى

الشهاب كما مر . ففى كلمة الشعور ثلاثة عيوب: سرقة وخطأ وإحالة. وإذا كانت

الشهاب لا يكون ولا يتصور ولا يذكر إلا مع الظلام فلا تجد ذوقاً أشد فساداً من

ذوق هذا الشعور

فى القصيدة التى انتقدناها فى السفود الثانى كان المطلع (نوح الحمام) وهى تهنته فى

عيد ميلاد . وفى قصيدة تهنته عيد الاضحى التى انتقدناها فى السفود الثالث ثان فى

أولها كفر ، وفى قصيدة ثالثة (عفونا عنها) ولم تنتقدها ليتوب عن الشعور وهى تهنته أولها

ذارة الملك اسلى ثم اسلى

كان هذا المطلع مذكراً بقول دى الرمة:

ألا يا اسلى يادارى (على البلى) ...

وفى هذه القصيدة الاخيرة المطلع ظلام بدليل ذكر الشهاب اذ لا يتصور هذا

إلا فى ذلك . أما فى الشعر إلا السرقة والغفلة وفساد الذوق ؟

ويقول شوقى بعد البيتين :

وضاعت يثرب الفيحاء مسكا وفاح القاع أرجاء وطابا

وهو كلام فقط ولا قيمة له فقلده عفيفى وقال بعد المطلع :

سليل الدوحة الزهراء عمت بك الارعاء حسناً وارتغاباً

فشوقى جعل الارعاء تفوح مسكا والشعرور جعل الارعاء تعم حسناً ! وتعم

(كمان) ارتغاباً .. ارتغاباً يعنى ايه ؟ يقول القاموس ارتغب فى الشئ كرجب أرادته

فأذن عمت الارعاء حسناً وأرادته ... وإذا كُن الحسن يشبه بالنور فيصح لذلك أن

يعم الارعاء أى الامكنة فى أى شئ تشبه الارادة حتى تعم الامكنة وهى لا تعم إلا الناس

بخلاف النور فهو عملاً الامكنة لا الناس ؟

نعم أن الخلط جائز وبابه واسع جداً حتى قالوا سمك لبن تمر هندي . فعلى هذا

فليؤول بيت الشيخ رضى الله عنه . ولا معنى لوصف الدوحة بالزهراء والدوحة فى

الاصل الشجرة العظيمة شبت بها الاسرة الكبيرة في عظمها وتفرعها وخروجها
بأكملها من جذع واحد هو الجد الأعلى وقد جاءت هذه التسمية في كلام المتأخرين
من أنهم يرسمون نسب الاسرة في صورة شجرة يسمونها شجرة النسب . والزهر
المرأة المشرفة الوجه وهذه المادة على كل حال لا تستعمل إلا في البياض واشراقه
وتلأله فيقال القمر الازهر وامرأة زهراء وسحابة زهراء وهكذا . ولكن الشعرو
كما قلنا رجل ألفاظ من هندسة طوبة على طوبة فان بحثت في كلامه عن دقة أو فكر
أوفن فانما تبحث عن عيوبه لاعت محاسنه . . .
ثم يقول :

يجمل عيدك الوطن المغدى ويزهى المجد والكرم للبابا

أعز مواسم الدنيا عليها وأسعدها وأحمدتها مآبا

لهذا الشعرو طريقة في المبالغة الممقوتة ناشئة من طريقته في ركم الالفاظ بلا فكر
ولا تمييز ولا فن لان المبالغة السمجة صورة من شرود الفكر وذووله وكونه لا يجد
ما ينظمه ولا ما يحكمه أعنى أنه لا يجد المادة التي يخلق منها كما يجد في أدمغة البقريين
والتوايح . وحيث يشرد مع الالفاظ ولا يجد مانعا من أن يجعل لك الفلمة فيلا هنديا
بناين ! او على ظهره هودج عظيم فيه مہراجا . . اسمه مہراجا على ديوان محرر . . .
نعم أن عيد ميلاد صاحب السمو الامير فاروق حرسه الله يوم من أكرم أيام
التاريخ على التاريخ وفيه جمال الحاضر وأمل المستقبل وفيه أمة قائمة تنظر من وراء
الغيب الى أمة آتية . ولكن جعل هذا العيد « أعز مواسم الدنيا عليها » أمر يخرج
من المبالغة الى سوء الادب السياسى مع ملوك الارض العظماء . ويضيف الى ذلك فساد
الذوق اذا ذكرت أعياد جلالة مولانا الملك . والشاعر اذا مدح الملوك وجب أن يكون
له مع خيال الشاعر في معانيه دقة السياسى في ألفاظه وحكمة الحكيم في أساليبه ومن
أجل ذلك كان هذا النوع من المدح أصعب مافى الشعر بكل ضروبه وانواعه وكان
الملك الذى يوفق الى شاعر حقيقى يجمع البلاغة والخيال والحكمة والسياسة والشهرة
الطائرة والاعجاب العام — انما يوفق الى كنز عظيم بل الى تاج آخر آمن من تاج
الملك لان لتاج الملك عمرا محدودا أما التاج الذى يصوغه هذا الشاعر فهو تاج التاريخ
الذى لا عمر له . وكان اسم المتنبي مقرونا فى حياته باسم أميره سيف الدولة فلما صار
الى التاريخ انعكست الآية وعاد سيف الدولة يعيش باسم المتنبي . الامير جاد على
الشاعر بالمال والنعمة وذهب كل ذلك وفى ولكن الشاعر جاد على الامير بالتاريخ
الباقى الذى لا يذهب ولا يفنى

ولما قتل ابن هاني شاعر المعز بأبي القاهرة حزن المعز حزنا شديدا وقال: هذا الذي كنا نريد أن نقاخر به ملوك المشرق فلم يقدر لنا . فعلى هذه النية السامية النبيلة يتخذ الملوك شعراءهم ويحفلون بهم للشعر ولا للمدح ، كلا ، بل لانشاء النبوغ العالي في أدب الامة ومباهاة الامم به وتزيين تاريخ الملك بمادته التي هي وحدها جواهر التاريخ وحلاه

وهل كان المعز معنوها يوم كافأ ابن هاني على اول قصيدة قدمها اليه بما قيمته من عملة مصرية سبعة آلاف وخمسمائة جنيه انجليزى ؟ انها نية التاريخ ونية الشعور السامى فى خدمة الامة بوضع وسام العقل النابغ على صدر تاريخها تباهى به الامم . اولاترى الناس ينفقون مائة الف جنيه الى مئات فى انشاء معمل ؟ فى معمل اعظم واشرف من عقل عظيم يدع الادب العالي ويزيد به فى مجد الامة ويضع فيه أجمل قطعة من تاريخها ومن صعوبة مدح الملوك كان شوقى وهو شاعر فحل ناضج يجعل نصف قصائده غزلا ونسيا فيوفر نصف المشقة ومع هذا فانه كان لا يجيد من المدح إلا آياتا معدودة لاتذكر مع المتنبي أو ابن هاني أو من فى طبقتهما . واذا كان هذا فى شوقى فكيف بالشعور عفيفى ؟

الحق أن الشعر العربى من هذه الناحية ينتظر نبيا جديدا من انبيائه فليستظر . فليستظر الى يوم القيامة

ومن أسخف واربد مبالغات الشعور فى قصيدته قوله بمدح جلالة مولانا الملك ويذكر الطيران ، طيران صدقى وحسين بك وهو موضوع جميل حساس لاشتغال الامة به فى هذه الايام :

أمينك احمد حث المطايا على الافلاك واستاق الركابا

سما بحماك عن حمل الروايا وعاف العيس والخيل العربا

وطار على المجرة مستشفأ ليكشف عن دخائلها النقا

هذه ثلاثة آيات وهى ثلاث فضائح تسقط الامة التى تقال فيها إسقاطا أدبيا اذا كانت هذه الامة ترى ان مثل هذا شعر او ادب . هل هناك مؤامرة ياترى على تشويه السمعة الادبية لمصر واضحاك ادبا . العالم العربى منها بنشر مثل هذا الهذيان بحروف كبيرة مشكولة فى صدر جريدة الاهرام . انى اقول فى صراحة لجريدة الاهرام ان هذا عقوق منها بهذه الامة التى حاطتها ووثقت بها واقبلت عليها . ولكى نذكر فظاعة الايات تصور انها ترجمت الى الانجليزية ونشرت فى انجلترا وامريكا وقرأها

تلك الشعوب واطلع عليها الطيار العظيم لتدبرج فكيف يكون تأثير هذه المعاني
المصرية الخارجة باسم محرر الديوان الملكي؟

احمد حسنين بك حث البهائم التي تركب !!! وحشها على أفلاك السماوات !!!
وساق الركاب !!!

وفي حماك يا جلالة الملك ، سما وترفع عن حمل قرب الماء !!! وكره الجمال والخيل
الاصيلة !!

وطار فوق المجرة باحثا ليكتشف اسرارها ودخائلها التي لم يكتشفها أحد !!!
ياناس اى هذيان هذا ؟ يالتدبرج اعلم معروفا ولا تنتهم الامة المصرية المسكينه
فان الامة بأجمعها تبصق على صناعة هذا الشعر ولا تراه إلا جهلا محضا وسخافة دونها
كل سخافة .

كيف يكون حسنين في البيت الاول ، حث المطايا ، واستاق الركاب ، وفي
الثاني سما وترفع عنها ؟ ليس هناك الا تاويل واحد وهو تشبيه الطائرة بالمطايا !!!
بحار أو بعل !!

وطار على المجرة ، على المجرة . و ، على ، في النحو تفيد الاستعلاء . بالطيف
الطيف . كأن المجرة عند الشيخ عفيفي هي الدور الخامس والسادس في عمارة !!!
وطار عليها ، ليكشف عن دخائلها النقاب ، !!! أنشأ ياروتر في العالم حالا
ان مصر أرسلت مكتشفا إلى المجرة ليكشف أسرارها الازلية الابدية وإن هذا
المكتشف هو أمين جلالة الملك .

أنا والله لا أتصور في الفضاء أفظم من هذا . ولو أن هذا الاحمق الشعور كان
يمدح رجلا عاديا بهذا الجهل لكان مسيئا اليه أقبح اساءة فكيف ؟ فكيف ؟ ماذا
قول ؟

ان كرة أرضنا هذه بما عليها لو ألقيت في الشمس لاحتترقت وتلاشت في ثانيتين
على الاكثر (١) والمجرة سطح عظيم محيط بالسما بالغ ما لا يتصور من الهول والعظم

(١) كان من شؤم قصيدة الشعور على احمد بك حسنين وكان من
عاقبة تجديفه في هذا الشعر البارد بأن حسنين بك ، طار على المجرة ليكشف النقاب
عن دخائلها ، ثم رعونته في التسرع بمدح جلالة الملك بأمر سابق لأوانه وجعله
ذلك فخرا مصرية — كان من شؤم هذا كله أن سقطت طائرة حسنين بك مرتين

تسبح فيه الوف من مثل شمسنا . فكيف يأناس يطير عليها (يعنى فوقها) احمد
 حسنين ؟ ثم حسنين هذا لا يطير فقط على المجرة للنزعة وشم الهواء !! بل ليكشف عن
 دخائلها النقاب . دخائلها وأسرارها وما فى باطنها ، وليرسمها فى (خارطة) ...
 ألا يرى القراء أن الشعور . رجل الفاظ من رجال طوبه على طوبه لاغير ؟
 وقبل هذه الايات الباردة قال يصف الطيار صدق وان لم يسمه وسمى حسنين بك
 مع أن الاول هو الأول وهو الفائز :

بحوك يمرح المصرى زهواً ويعلوا النسر فيه والعقاب
 من فضلك يالندرج لا تضحك علينا . فانا جميعا نبصق على صناعة هذا الشعر
 باشمزاز كما قلنا لك . هل من الفخر للامة المصرية فى هذا العصر الذى نظن فيه أن
 الطيارات ستكون سلاح الحروب المقبلة أن يمرح طيارها فى الجو زهواً !!!
 وهل من الفخر للطيار أن يعلو على النسر والعقاب ... ؟ هل هي طائرة فى خيط
 باشيخ عفيفى ؟ ألم يبلغك أن الطيارين ارتفعوا فى الجو لافوق النسر والعقاب
 والحدأة فقط بل فوق اربعين الف قدم ؟
 ثم قال :

له من كوكبك منار صدق يضيء له المحجة والصوابا
 وفسر (كوكبك) بقوله فى الشرح : الاميرتان فائزة وفاتكة . ومع اجلالنا
 لهذين الاسمين الكريمين الغالين على الامة لم نفهم كيف أضاءا للطيار صدق . المحجة
 والصوابا . وقد سميت الطائرة بعد وصولها إلى مصر باسم الاميرة فائزة ومع ذلك
 لم يذكر اسم الاميرة فى القصيدة ولا وصف صاحبها تيمن الشعب باطلاق هذا الاسم
 الحلوا الميمون على أول طائرة مصرية . بلغت مصر . وقال يصف صدق
 يداعب سامق الآفاق لهواً ويجمشها علواً وانصباباً

أصيب فيهما بجروح ولم ينج من الموت فى السقطة الثانية إلا بأعجوبة . وأخيراً
 أرسل تلغرافاً إلى المقامات العالية فى مصر يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ يقول فيه :
 تحطمت طيارتى سوء الحظ يلزمنى ، وقصيدة الشعور نشرت فى يوم ١١ فبراير فلا
 حسنين بك . طار على المجرة ، ولا طار على الأرض . وهذا وحده يجعل قصيدة
 الشعور فى غاية السقوط لو لم تكن ساقطة من نفسها فكيف وهى كلها عبر ؟

لا يزال الشيخ يظن الطيران ، للداعبة واللهم ، وما دامت قد ذكرت المداعبة فلا مانع من ذكر (الجش) وما هو الجش أو التجميش؟ هو مغازلة المرأة وملاعبتها وقرصها... في أما كن من جسمها . بل هذه المادة باعتبار أصل اشتقاقها في منتهى الفظاعة وذكرها في القصيدة غاية الغايات في قلة الأدب وما على من شاء إلا أن يرجع الى قاموس الفيروز ابادى في مادة جمش فيجد هناك : ورجل جماش متعرض للنساء كأنه يطلب ...

فاذا قيل أن الجش في بيت الشعور هو ، لسامق الآفاق ، . قلنا أن المعنى الأصلي لا يزال باقياً حاضراً لذهن من يعرف المادة وأصل اشتقاقها ثم نقل الجش من المرأة للسما صناعة لفظية في غاية السخف ليس فيها إلا طوبه على طوبه وهو أسلوب هذا الشعور

وما مدح به جلالة مولانا الملك في هذه القصيدة :

أمين الله أتملت الأولي واخجلت المناهل والسحابا
إذا انتسبت غيوث الخير يوماً فمن كفيك تنسكب انسكابا
عددت ما أثرا لك خالداً فلم أتمم وانقدت الحسابا

جلالة الملك أحق الناس بالمدح ومهما قيل في مدح جلالاته فهو قليل باعتبار الواجب له وفي بقيتنا أن عرش مصر لم يتوله الى الآن مثله . ولكننا ننظر في صناعة الايات فنرى صاحبها مغرماً بالتجنيس فيقول (أتملت واخجلت) وهذا لا بأس به ولكن في رأيه جلالة الملك اخجل ماذا؟ أخجل المناهل أى الأماكن التى يستقى منها الناس الماء واخجل السحاب ...

نفهم أن الشاعر العربى الذى ينشأ فى الرمل والقفى والجذب يجد المنهل أفضل ما يشبه به الكريم الذى يجود عليه ولكن الآب فى كل بيت فى مصر حتى بيوت الفقراء منهل من الحنفيات ، يصب الماء نهاراً وليلاً فضلاً من الله ورحمة وله الحمد والمنة

ثم المبالغة فى اخجال السحاب تدل على صناعة ركيكة جداً فهذا المعنى مفروغ منه قد تناولوه كل شاعر والمبدع من يبدع فيه شيئاً جديداً لا من يأتي به على هذه الطريقة الصيانية الباردة . انظر كيف صنع البحرى فيه يمدح الفتح بن خاقان .

وأكبر أن أشبه جود فتح بصوب غمامة أو سيل وادى
كريم لا يزال له عطاء يغير سنة السنة الجداد

لم يقل البحرى وسحابا ، كما صنع الشعرو فان من السحاب مالا يخطر ولا يعطى شيئا ومنه ما يقذف الصواعق بل قال ، صوب غمامة ، ليكون الجود واقعا ومع هذا الاحتراس الدقيق قال أنه يكبر الممدوح عن هذا التشبيه فشبهه وأكبره في وقت معاً . ثم مع كل هذا أتم المعنى في البيت الثانى وجعل الممدوح كأنه قانون طبيعى يهذب الطبيعة ويغير بعض قوانينها .

وفى موضع آخر من شعره يمدح بانه ، مرجو لما ألغيت دونه ، فلم يقل السحاب بل ألغيت وهو المطر نفسه ثم عبر هذا التعبير الجميل ليصنع شيئا بيانيا فى المعنى الذى ابتذله الجميع .

ويقول فى مدح المهتدى .

غدا المهتدى بالله وألغيت ملحق بأخلاقه أو داخل فى عدادها
تبارك مانح هذا الذوق وميسر هذا البيان وكلمة « أو » فى هذا البيت هى وحدها شعر مطرب وانظر كيف صنع ابن هانى لممدوحه .

ليس الصباح به صباحا مسفرا وسقت شمائله السحاب سحبا
وقال السرى : له فى كل أتملة سحاب تسح وكل جارحة شهاب
واما : أخجلت المناهل والسحابا ، فهذا كلام مخجل ساقط . ولو قال أخجلت بحيرة فيكتوريا نيانزا وأخجلت النيل من منبعه الى مصبه لكأنت لفضلة (أخجلت) وحدها كافية لتجيين المعنى .

وقول السرى : له فى كل أتملة سحاب ، هو الذى سرق منه الشعراء المتأخرون كابن معترك وغيره بمبالغتهم السمجة فى جعل يدى الممدوح ، عشرة ، مجر ، ... فيكون إيهام يده اليسرى أمريكا وخنصر اليمنى أوربا وحضرته المحيط الاطلانطيقى وقول الشعرو : عدت ما آثرا لك خالداً فلم أتمم وأنفدت الحسابا

قول بارد أخف منه والله قشعريرة الحى وأدفاً منه شهر طوبه وألطف ، جوا منه شهر أمشير !!! و لم أتمم ، بالطفيف ، وأنفدت الحساب ، ياباى . إذن ياسى شعرو حضرتك لاتعرف الحساب ولاتعرف أنه لا ينتهى ولا ينفد مطلقاً لأنك إذا عدت إلى ديشليون أمكنك أن ترجع فتعد من واحد ديشليون إلى ديشليون ديشليون ثم تعود بعد ذلك فتعد على هذا التوالى . وعلى كل حال فانك ستموت وأنت تعد ولا ينفد الحساب مهما بلغ عمرك

وجلالة الملك لا ينضب شئ . كما تغضب هذه المبالغة فى مدحه وعندما آثره الخالدة . والمخلصون

لجلالته لا يرون هذا الكلام الاسوء ادب قد بلغ الغاية ولا يليق مطلقاً ان يخاطب به جلالاته .
والمؤمنون بالله يرون هذا القول ان لم يكن حراماً فهو على الاقل مكروه كراهة تحريم
لان الشعور اخذ المعنى من القرآن الكريم واساء استعماله ووضع موضع كذب صرف
يقول الله تعالى : « ولو أن مائى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة انهار ما نفدت كلمات الله » .

لاتنفد الكتابة فلن ينفد الحساب لان الأمر ازل أبدي . ومع ذلك قال الشعور
الغبي « أنفدت الحساب » وزادها سهاجة فقال « لم أتم » ، وبلغ منتهى الاساءة حين
جعل هذا في عده ما أثر جلالة مولانا الملك .

أنا اعلن بكل صراحة وبالصرامة كلها أنه يجب إسكات هذا الشيخ عن المديح
الملكي مادام موظفاً في الديوان العالي لان المفروض والمفهوم ان هذا الهراء كله سائق عند
رجال هذا الديوان وانهم يرونه أدباً وشعراً ، ولو لم يكن ذلك لأنكروه على صاحبه واسكتوه
عن التماذى فيه لأن اسكاته عن ذلك مما توجه خدمة جلالة الملك وما يوجهه حق
الامة على رجال الديوان ، وإلا يكن شعر ومدح فذلك أفضل الف مرة من أن
يكون على هذه الصورة التى والتى والتى

كل بيت فى هذه القصيدة تهدمه نفخة والمدح الذى فيها سوقى بارد فى غاية السهاجة
كقوله لسمو الأمير .

هنيأ للعلى مغداك فيها وفتحك طرقها بابا فبابا
وان كانت طرق العلى فأن جمل الأمير ، فاتح طرق ، ذوق غريب ، والطرق
لاتفتح بابا فبابا الا اذا كانت مثل الطرق التى تنتهى بيوابة المتولى وباب زويلة وهكذا
على أن المعنى من قول الشاعر المعروف بالغزى :

ألم تترك لأحمد من خلال فتحن الى طريق المجد بابا
وهذا هو الكلام المستقيم لأن الانسان لا يفتح الباب فيخرج منه الى الطريق أما
انه يفتح الطريق باباً فهذا على وزن - يعنى البيت خراباً ...
ويقول لسمو الامير :

كسوت الدفتر المسطور غفرا وأعليت البراعة والكتابا
الذى (يكسو) الدفتر انما يغلفه كما يفعل التلاميذ فالكلمة هنا باردة جدا جدا
وان كان غلاف الدفتر غفرا . وما نظن ان جلالة الملك يرضى ان يمدح سمو الامير بأنه
بأستغاله بالدرس أعلى شرف العلم وشرف الكتب ، ولنبين فظاظة هذا المعنى وانه

من المعاني السوقية التي يخاطب بها الامراء تقول هب اميرا من الامراء لم يدرس ولم يتعلم ، فهل يكون هذا الامير لم يشرف العلم ولم يعمل قدر الكتاب ام ان العلم لم يشرفه والكتاب لم يعمل قدره ؟

ويقول : لديك الدهر فانظمه عقودا مفصلة وطرزه ثيابا وان كان التطريز في الدهر فهو على كل حال « تطريز ثياب » . عبارة سوقية سمجة ، وفي هذا البيت معنى لا تعرض له وعلى الذين يقرؤون أن يبحثوا

ويقول : سما بسناك ، عبين ، المعلى وضاء مشارقا وعلا قبابا
أجل منابت الأقيال غرسا وامنعها حنى وأعز غابا
زكت نبعانه وزكا جناها وطابت في ارومتها وطابا

وخلاصة هذه الآيات بعد حذف الحشو قول ابى نواس :

صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وليت مهندسا من المهندسين يفهمنا كيف « علت قباب عابدين » ؟ نعم أنه بسنا
الامير يضئ . بل القطر كله يضئ . بسنا الامير ولكن « علا قبابا » أمر يحتاج فهمه
للجنة مهندسين !!! والحجاز في المعاني المعقولة غيره في الاجسام الجامدة المحسوسة
المنظورة .

ويقول :

حلاك ابوك وضاح السجاي وثيق المجد كسبا واكتسابا
وضاح السجاي كلمة عامية لان معناها الظهور فهل كان يمكن في سجاي الامير
غير ذلك ؟ ولا ندرى كيف يمكن أن يفهم أن سمو الامير « جلاه والده العظيم
وثيق المجد كسبا » ؟ الحقيقة ان هذا البيت تصرف ضعيف في قول الغزى :

فتى ملك العلى أصلا وفرعا وأحرزها تراثا واكتسابا

وقال بعد ذلك البيت :

تضيء سماحة وتطيب نبلا . فتخفى النجم !! والمسك الرضابا
ومع ركاكة هذا الكلام وأنه لا يجوز أن يقال لأمير عظيم « تطيب نبلا » لانه
هو كذلك بالطبيعة فقيه غلظة لأن الشعور أراد ان يلف وينشر فجعل سمو الامير
باضائه « سماحة » تخفى النجم وبطيبه نبلا تخفى رائحة المسك ثم قال المسك الرضاب
وهنا الغلظة لانه يقال رضاب المسك أى قطعه الصغيرة فرضاب لا بد ان تكون مضافة
للمسك والشيخ جعلها هنا صفة للمسك فصار هذا كقولك مثلا رأيت الشجرة الغصون

وانت تريد غصون الشجرة . ثم يقول بعد البيتين :

ومن يك ذا أب كأيك يمدد الى العلياء اسبابا قربا

اذن لم يمدح سمو الأمير بشئ . لأن كل من يكون ذا أب كأيه فهو مثله . هذا هو معنى البيت ظاهر كل الظهور فهو بغير المدح أشبه .

اظن نفوس القراء قد انقلبت من قرف ، هذا الشعر فيجب علينا ان نروحهم بشعر كنسيم الجنة من قول البحترى في ولي عهد المعتز بالله :

عليه من المعتز بالله بهجة أضاءت فلو يسرى بها الركب لاهتدى

اذا اعجبتك اليوم منه خليقة مهذبة أعطاك أمثالها غدا

طالب لأقصى الامر غاية جهده اذا قلت يوما قد تنهى تزيده

بقيت ترجيه وعاش مؤملا يراعى اتصالا من حياتك سرمد

أرأيت كيف يصور نمو الفضائل والخلائق يوما بعد يوم بنمو العمر ، وكيف يدعو الشاعر للامير ولأبيه الخليفة ؟ فاقرا الآن كيف دعا الشعروور في ختام قصيدته :

أبا الفاروق عشت وعاش بدرا ينير لأبيك السبل الصعابا ، !!!

ولنسكت هنا فالسكوت عن شرح هذا البيت كما قيل في المثل الذي حفظناه في

المدارس : الصمت زين والسكوت سلامة .

(حاشية) قيل لنا ان الشعروور ابن عفيفي يباهي بقصيدته الاخيرة ويزعم اننا سنعجز عن نقدها . مسكين الشيخ عبد الله عفيفي فليتعامل حضرته وليقرأ ليعلم أن قصيدته هذه أسخف من كل ماتقدم . ومسكين أيضا لأنه مظلوم يعرف أنه لا يذكر ولا يفلح وليس فيه موهبة من مواهب العبقرين ومع ذلك يدفعه (البعض) لعمل هذه القصائد ويغريه بالوعود . ومسكين مرة ثالثة لأنه لا يعرف أن هذا (البعض) يقصد من وراء ذلك — كما يقال — ان يؤثر على منزلة أديب كبير راسخ في عالم الأدب

ومسكين ابن عفيفي مرة رابعة لاتنا عزمنا ان نجعله موضوع الجزء الثاني من السفود ونطبع عنه هذا الجزء تسجيلا لحاقته التي اندفع فيها جاعلا نفسه مظهر أديب رسمي ناتسابه للدبوان العالي الملكي ونشره قصائده السخيفة بهذه الصفة فليتحفنا حضرته بقصيدتين أو ثلاث قصائد جديدة وله الشكر !